

الفصل السادس والعشرون

التعجب

العبارات السماعية للتعجب :

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(١) : " تأويل (كيف) أنها استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب إنما هو للخلق والمؤمنين ، أي : اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ؟ " ^(٢) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ^(٣) : " هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه ، ولفظها لفظ الاستفهام ، تقول في الكلام : ألم تر إلى فلان صنع كذا وكذا " ^(٤) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ ^(٥) : " (ما) رفع بالابتداء ، والمعنى : وأصحاب الميمنة ما هم ؟ أي شيء هم ؟ وأصحاب المشأمة أي شيء هم ؟ وهذا اللفظ مجراه في العربية مجرى التعجب ، ومجراه من الله تعالى في مخاطبة العباد مجرى ما يعظم به الشأن عندهم ، ومثله : ﴿ الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ^(٦) و﴿ الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ^(٧) " ^(٨) .

الصيغة القياسية :

أ . صيغة (ما أفعله)

قال الزجاج في قوله تعالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ ^(٩) : " فيه غير وجه ، قال بعضهم : أي شيء أصبرهم على النار؟ وقال بعضهم : فما أصبرهم على عمل يؤدي إلى

(١) البقرة/ ٢٨ .	(٢) معانيه ١/ ١٠٧ .	(٣) البقرة/ ٢٥٨ .
(٤) معانيه ١/ ٣٤٠ .	(٥) لوقعة ٨ .	(٦) الحاقة ١/ ٢ .
(٧) القارعة ١/ ٢ .	(٨) معانيه ٥/ ١٠٨ ، ١٠٩ .	(٩) البقرة/ ١٧٥ .

النار ! لأن هؤلاء كانوا علماء بأن من عاند النبي صلى الله عليه وسلم صار إلى النار " (١) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (٢) : " يكون على جهة لفظ التعجب ، ويكون التعجب كما يؤمر به الآدميون ، ويكون المعنى كقوله : ﴿ فَمَا أَضْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (٣) أي اعجبوا أنتم من كفر الإنسان ، ويجوز على معنى التوبيخ ولفظه لفظ الاستفهام ، أي : أي شيء أكفره ؟ " (٤) .

ب. صيغة (أفعل به)

قال في توجيه قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ (٥) : " المعنى : ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة " (٦) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ (٧) : " أي : ما أسمع وأبصره " (٨) .

وقد تأول الصيغة في الآيتين بصيغة (ما أفعله) ، وليس في كلامه ما يدل على ما نسبه إليه ابن هشام وغيره من أنه يرى أن (أفعل) في هذه الصيغة لفظه ومعناه الأمر حقيقة (٩) ، وقد ذكر أبو البقاء أنه حكى عن الزجاج أن (أفعل) في التعجب أمر حقيقة ، والجار والمجرور نصب ، والفاعل مضمَر ، فهو ضمير المتكلم ، كأن المتكلم يقول لنفسه : أوقع بهم سمعا (١٠) ، ولعله بذلك يشير إلى ما نسبه إليه الواسطي في شرح اللمع بقوله : " وقال الزجاج : موضع الجار والمجرور نصب ، والفاعل مضمَر ، والمعنى - في أحسن بزيد - ما أحسن ، قال : ولم يثن ولم يجمع لأنه قد جرى مجرى المثل ، والأمثال لا تغير " (١١) .

- | | | |
|---------------------------|------------------------|------------------------------|
| (١) معانيه ٢٤٥/١ . | (٢) عبس ١٧/ . | (٣) البقرة ١٧٥/ . |
| (٤) معانيه ٢٨٤/٥ ، ٢٨٥ . | (٥) مريم ٣٨/ . | (٦) معانيه ٣٣٠/٣ . |
| (٧) الكهف ٢٦/ . | (٨) معانيه ٢٨٠/٣ . | (٩) راجع للتصريح ٨٨/٢ ، ٨٩ . |
| (١٠) انظر التبيان ص ١٨٦ . | (١١) شرح اللمع ص ١٨٦ . | |